السور الفينيقي الضخم

السوق التجاري القديم

القلعة الفينيقية

جوهرة سياحية تتلألأ على شطآن الشمال

البترون.. العابقة بأريج التاريخ

تمر في شوارع هذه المدينة وكانك تختال عبر أزمنة التاريخ، فيعود بك الحنين إلى العصور الغابرة بهياكلها وقلاعها وأسواقها القديمة. إنها مدينة البترون العابقة بأريج العراقة والتاريخ، الغافية على ضفاف الشاطئ الفينيقي وبين احضان الهياكل.

زائر البترون يشعر وكانه يعبر عتبة التاريخ المحفور على جدرانه الهامسة بخفايا الماضي، فإذا به أثيراً لسحر خاص يجمع بين الطابع التراثي وحضارة المدن الحديثة.

إنها مدينة ساحلية على شاطئ لبنان الشمالي، تبعد عن بيروت 54 كلم. تحيطها بلدة عبرين من الشرق، والبحر الأبيض المتوسط من الغرب، كبا وسلعاتا وجبل حامات من الشمال وبلدة كفر عبيدا من الجنوب. ترويها مياه نبع كفر حلدا ونهر الجوز إضافة إلى ينابيع دلبى والغواويط والفتاح. يقول أحد ابناءها الباحث التاريخي والاثري جوزيف مرشاق، ان إسم « البترون » ورد للمرة الأولى في رسائل تل العمارنة في النصف الأول من القرن الرابع عشر ق.م.، إلا أن ذلك لا يعني أن تاريخ البترون يعود فقط إلى تلك الحقبة، فإن العديد من القطع الأثرية التي عثر عليها في البلدة تعود إلى آلاف السنين ق.م. كما اكتشف الباحث جوزيف اليان عند مصب نهر الجوز سلسة من المغاور على بعد كيلو متر واحد من البحر، وجدت فيها أدوات ومجموعة من حجارة الظران، مما يدل على انها كانت مسكنا للإنسان الأول.

وعن انيس فريحة ان كلمة « البترون » مشتقة من اللفظة السامية « بتر» ومعناها الصخر والشاهق العالي نسبة إلى وفرة الصخور فيها. وهناك تفسير اخر اورده جوزيف اليان ومفادة ان « البترون» مشتقة من كلمة « بوتريس» التي اطلقها اليونانيون على البلدة وكانوا يتبعونها دائما بكلمة الجميلة «la Beautris belle» ومعناها عناقيد العنب نسبة إلى أشجار الكرمة التي كانت تغطي مساحات واسعة.

إلا أن الأبوين حبيقة وارملة، يعتقدان انها مركبة من «بيت» و «تروناء وهي تعني محلة القدم وبيت الرئيس، وقد ربط جوزيف مرشاق ما بين هذا المعنى ووجود صخرة فينيقية مجوفة تعرف بـ «مقعد المير» بالقرب من السور الفينيقي. يقال انها كانت مقعدا للحاكم أيام الفينيقيين.

تاريخ وحضارة

بيت قرميدي لا يقل عمره عن 200 سنة ويعود بناؤه إلى عهد الأمير بشير الشهابي

المدرج الروماني القديم

بيت قرميدي لا يقل عمره عن 200 سنة ويعود بناؤه إلى عهد الأمير بشير الشهابي

200 سنة ويعود بناؤه إلى عهد الأمير بشير الشهابي

تاريخ البترون أحداث ترويها آثاراتها المتناثرة وأحجارها الناطقة بأسرار الشعوب التي توالت عليها عبر حقبات التاريخ. وقد تفاوتت هذه الحقبات بين انحطاط وازدهار، وكان أبرزها الحقبة الفينيقية، الرومانية والصليبية، إضافة إلى عهد المتصرفية.

تعتبر البترون من اقدم المدن الفينيقية، ونقلا عن المؤرخ يوسيفوس فلافيوس ان البترون بنيت على يد الكاهن ايتوبعل الثاني ملك صور في القرن التاسع ق.م. إلا أن العديد من الأدوات الأثرية تدل على تواجد الإنسان في البترون منذ العصور الحجرية، مما يدعو إلى الإعتقاد ان ايتوبعل لم يبني ليس منطقة البترون بل قلعة البترون التي تدمرت في زلزال 9 تموز 551 م. فاعاد الأهالي بناءها بطريقة عشوائية، والدولة تسعى حاليا إلى وضع اليد عليها لتحويلها متحفا لآثارات المدينة.

وقد حققت البترون إزدهاراً واسعاً خلال الحقبة الفينيقية، فقد ساهمت الغزوات المتكررة على صور وصيدا آنذاك، في نزوح الفينيقيين إلى البترون مما ساعد في إعمارها إقتصاديا.

كما عرفت تطوراً لافتاً خلال الحقبة الرومانية، ويبقى المدرج الروماني في حي مراح الشيخ، الشاهد الأمثل على هذا التطور. فقد أتى نتيجة لحق المواطنية الرومانية التي منحها القائد الروماني يوليوس قيصر إلى سكانها، مما يعني انها اصبحت مدينة رومانية، وذلك تقديراً لجهودهم في مساعدته في التقلب على خصومه. وفي سنة 30 ق.م. مُنحوا حق صك العملة حتى سنة 250 م. وهناك اليوم مجموعتان من هذه العملة: مجموعة في متحف اللوفر في فرنسا واخرى في لبنان.

وخلال الحكم الصليبي، كانت البترون إقطاعة تابعة لطرابلس، تحكمها عائلة D.agout الفرنسية الآتية من جنوبي فرنسا، ولم يبق منها سوى فناة تدعى» لوسي» Lucie تزوجت من تاجر إيطالي من مدينة «بيز» يدعى بلبيانوس Plebanos، مما شكل دافعا لتطوير العلاقات التجارية بين البلدين. وكانت القلعة الفينيقية مقرا للإدارة الصليبية التي أطلقت على البترون إسم « Seignerie de la sainte montagne» نسبة إلى توفر الكنائس والأديرة فيها والتي تعود إلى أوائل المسيحية.

وفي عهد المتصرفية الذي امتد بين عامي 1860 و 1918م، عرفت المدينة أوج إزدهارها، إذ تم خلالها بناء أكبر قسم من الأبنية بواسطة الحجر الرملي الذي كانوا يقتطعونه من السور الفينيقي. وهي كناية عن مدارس وأديرة وكنائس وفنادق وما لا يقل عن 25 خان لم يبق منها سوى القليل، إضافة إلى عدد من المعاصر والمطاحن وغيرها، كما ساهم مرفاها التجاري المعروف بتطوير العلاقات التجارية مع دول العالم.

آثار وذاكرة

وفي جولة على المعالم الأثرية في البلدة، لا تستطيع إلا أن تقف مشدوهاً أمام ضخامة السور الفينيقي على الشاطئ، وهو عبارة عن كسبان رملية تحجرت في الطور الجيولوجي الرابع. وفي القدم كان يمتد على طول شاطئ البترون من الشمال حتى الجنوب لرد الغزوات والأمواج العاتية، إلا أن الأهالي أخذوا يقتطعون منه لتشييد أبنيتهم فأخذ ينقلص مع الأزمنة، حتى أضحى طوله اليوم لا يتعدى الـ 225 مترا وعلوه 5 أمتار وعرضه لا يزيد عن 1.5 متر عند القمة.

ومن أشهر الآثار الصليبية في لبنان، تطالعنا قلعة المسيلحة على صخر ضخم وعال مستقيم الجوانب، تشالف من طابقين ذات جدران سميكة تنفذ منها إلى الخارج كوى متعددة كانت تستعمل للمراقبة ورمي النبال.

وهي تعد من أشهر القلاع اللبنانية والكل يتذكر صورتها على الأوراق النقدية من فئة الـ 25 ليرة. ويعتقد ارنست ريتان انها ترقى إلى العصور المتوسطة وقد أشيدت على انقاض قلعة فينيقية.

وأمام المدرج الروماني في حي مراح الشيخ، تتملكك الرهبة وتعود بالخيال إلى سطوة الرومان في تلك الأزمنة الغابرة. ويقول الباحث جوزيف مرشاق انه المدرج الروماني الوحيد في لبنان والعالم، المحفور في الصخر والذي لا يزال على طبيعته «من دون أية إضافات معمارية». وبالقرب منه، تقع على حجر ينبض بالفن الراقي، حفر عليه زرجونة عنب، وجد في محيط كنيسة مار يعقوب على الضفة اليمنى لنهر الجوز، التي شيدت على انقاض كنيسة صليبية لم يتبق منها سوى جدار واحد، وهي بدورها بنيت على انقاض معبد وثني أيطوري. وزرجونة العنب هذه، تدل على غنى البترون ببساتين الكرمة، ومن الممكن أن تدل على عبادة كل ما يتعلق بالخمرة أيام الأيطوريون واليونان والرومان.

تمتاز البترون بوفرة كنائسها وأديرتها، ولعل أبرزها كاتدرائية مار أسطفان التي تعود إلى القرن العشرين، بناها المهندس الإيطالي جوزيفي ماجوري Juiseppe Maggiore الذي أشاد أيضا كاتدرائية مار جرجس للموارنة في بيروت، وهي مبنية على انقاض كنيسة قديمة تعود إلى العام 1760م وهي بدورها مبنية على انقاض كنيسة أخرى تعود إلى العام 1490م.

أما كنيسة مار جرجس، فقد أتم المعلم ديبو «من البترون»، بناءها في آب 1867 على الطراز البيزنطي، وسكان البلدة يسمونها «آيا صوفيا» البترون لمدى تماثلها بكنيسة آيا صوفيا اسطنبول، وهي مؤلفة من عقدين، عقد فيه مستديرة لا يقل علوها عن 14م، تعتبر الأجمل في لبنان، وعقد متصالب فوق المذبح.

وإذا مررت بدير راهبات القلبين الأقدسين، تقع على نفق قديم كان يستعمل فيما مضى كمخزن للمواد المستوردة من أوروبا.

ونصل إلى السوق القديم، الذي يعود إلى أواخر القرن التاسع عشر، فتتجلى أمامك عراقة التاريخ بأبهى صورها، وتستقبلك أبواب خشبية ناطقة بالقاصيص الماضي السحيق.

ولا تنسى الحارات القرميدية التي تعود أيضا إلى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وهي مؤلفة مما لا يقل عن 15 بيتا لم يتبق منها سوى خمسة، ذات رسوم جدرانية رائعة.

مدينة البترون جوهرة السياحية اللبنانية

المكان الذي يقام عليه المهرجان

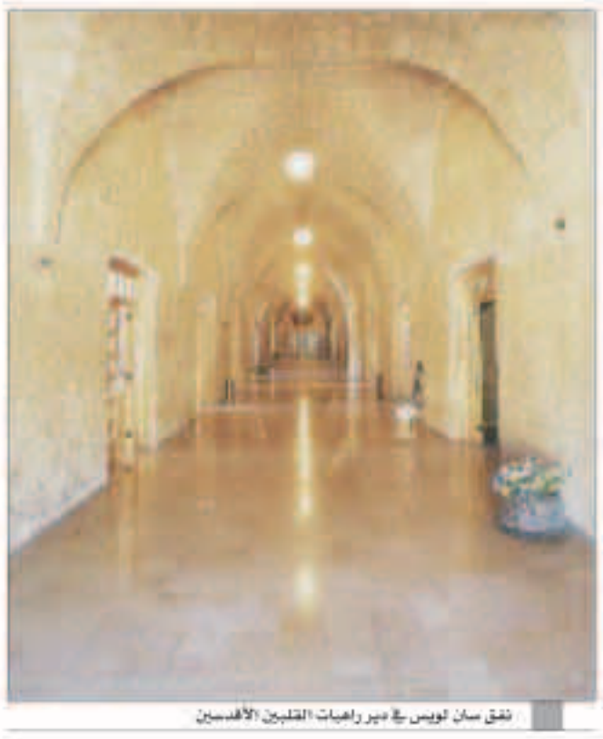
نفق سان لويس في دير راهبات القلبين الأقدسين

كنيسة مار جرجس بطابعها البيزنطي وقبتها المميزة، 1867.